مَرْسُوم السُّلْطان الأشْرَف إينال
الخاص بضبط البيع والتقبين في دار الوكالة وسوق الباشورة بالقدس الشريف
(١٣جُمادى الآخرة سنة ٨٦١هـ)

د. عمر جمال محمد علي
مدرس التاريخ الإسلامي
كلية الآداب–جامعة سوهاج

أولاً: الدراسة:

حظيت مدينة القدس الشريف باهتمام سلاطين المماليك وأمرائهم، نظرًا لطبيعتها الدينية، باعتبارها إحدى الأماكن المقدسة التي تتعلق بها قلوب المسلمين، وكان عليهم على أن يترجموا سياستهم الدينية إلى واقع ملموس حتى يحظوا بتأييد المعاصرين لهم وتغيير نظرتهم إليهم[١]، وتجسد ذلك من خلال الزيارات التي قاموا بها إلى المدينة لتفقد أحوالها، وتقديم المساعدات المالية والعينية المختلفة، وبناء المنشآت العمرانية التي تخدم سكانها[٢]، وشاركهم في ذلك القضاة والعلماء والتجار، وقد آثر كل من قَدَّر مكانتها الدينية أن يترك بصماته العمرانية شاهدة على وجوده في هذه المدينة المباركة[٣].

كما عنى سلاطين المماليك عناية خاصة بعمارة المسجد الأقصى[٤]، من خلال أعمال التجديد والترميم المستمرة التي أجريت له، وتخصيص المبالغ المالية للنفقة على مصالحه، على نحو ما حدث في سنة ٦٥٩هـ/١٢٦١م، عندما أرسل السُّلْطان الظَّاهر بيبرس(٦٥٨-٦٧٦هـ/١٢٥٩-١٢٧٧م) الصناع والآلات لعِمارة قبة الصخرة، ثم ذهب لزيارة القدس في جُمادى الآخرة سنة ٦٦١هـ/١٢٦٢م، وتفقد أحوالها وخصص خمسة آلاف درهم للنفقة على مصالح المسجد[٥]. وقام السُّلْطان المنصور قلاوون(٦٧٨-٦٨٩هـ/١٢٧٩-١٢٩٠م) بتعمير سقف المسجد الأقصى من جهة القبلة، وفي سنة ٦٩٥هـ/ ١٢٩٦م جدّد السُّلْطان العادل زين الدين كَتْبُغا المنصوري (٦٩٤-٦٩٦هـ/١٢٩٤-١٢٩٦م) فصوص(فسيفساء) الصخرة الشريفة، وجدد عمارة السور الشرقي. وفي عهد السُّلْطان المنصور لاجين(٦٩٦-٦٩٨هـ/١٢٩٦-١٢٩٨م)، جددت عمارة محراب داود الذي بالسور القبلي بالمسجد الأقصى. كما قام السُّلْطان النَّاصر محمد بن قلاوون في سلطنته الثالثة(٧٠٩-٧٤هـ/١٣١٠-١٣٤١م) بتعمير السور القبلي عند محراب داود عليه السلام، ورخم صدر المسجد الأقصى، كذلك فتح فيه الشُّباكين اللذين عن يمين المحراب، وذلك في سنة ٧٣١هـ/١٣٣٠-

١٣٣١م، وجدد تذهيب القبتين؛ قبة المسجد الأقصى وقبة الصخرة. وفي عهد السُّلْطان الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون(٧٦٤-٧٧٨هـ/١٣٦٢-١٣٧٦م) جددت الأبواب الخشبية المركبة على أبواب المسجد الأقصى، وبنيت الأروقة الواقعة في الجهة الشمالية للمسجد[٦].

واستمرت العناية بالمسجد الأقصى في عصر سلاطين المماليك الجراكسة فقد قام السُّلْطان الظَّاهر برقوق في سلطنته الأولى(٧٨٤-٧٩١هـ/١٣٨٢-١٣٨٨م) بتعمير دكة المؤذنين بالصخرة الشريفة تجاه المحراب، وذلك في شوال سنة ٧٨٩هـ/أكتوبر١٣٨٧م، كما عمّر السُّلْطان الظَّاهر جَقْمَق(٨٤٢-٨٥٧هـ/١٤٣٨-١٤٥٣م) سقف الصخرة الشريفة في سنة ٨٥١هـ/١٤٤٧م[٧]. واستمرت أعمال الإصلاح والتجديد حتى فترة حكم السُّلْطان الأشرف قانصوه الغوري(٩٠٦-٩٢٢هـ/١٥٠١-١٥٢٢م)، ففي عهده جددت عمارة المسجد الأقصى وقبة الصخرة، فضلاً عن بياض الجدران ودهان الأبواب وإجراء عمليات الترميم، وكان ذلك تحديدًا في سنة ٩١٥هـ/١٥٠٩م[٨].

ومن ناحية أخرى، فلم يكن للمؤسسات الدينية والتعليمية في مدينة القدس أن تقوم بأداء دورها بدون توفير الموارد المالية اللازمة لصيانتها والعناية بها، ودفع رواتب أرباب الوظائف بها من المدرسين والمعيدين والقراء والأئمة والمؤذنين والفراشين وكذلك الطلاب. لذلك اهتم سلاطين المماليك بالأوقاف اهتمامًا كبيرًا، وبذل بعضهم عنايته من أجل استمرارها، وكان المسجد الأقصى على رأس هذه المؤسسات التي أوقفوا عليها كثيرًا من الأماكن المختلفة سواء كانت أراضٍ زراعية أو عقارات أو منشآت تجارية، أو غير ذلك مما يُصرف ريعها لخدمة الوقف[٩].

وتضم وثائق الحرم القدسي الشريف المحفوظة في المُتحف الإسلامي بالقدس[١٠] سبعة مراسيم سلطانية تتعلق برعاية سلاطين المماليك أوقاف المسجد الأقصى، وقد نشر

منها أربعة مراسيم في ثمانينات القرن الماضي، ولم يتعرض أحد من الباحثين حتى الآن على حد علمي لدراسة المراسيم الثلاثة الأخرى، ربما لصعوبة الحصول عليها، أو لصعوبة قراءتها، والمراسيم السبعة هي:

١- مرسوم السُّلْطان الظَّاهر بيبرس (الوثيقة رقم ٣٤)، والمؤرخ في العشر الأواخر من جُمادى الأولى سنة٦٦٤هـ/ مارس١٢٦٦م، والخاص بوقف أراضي العوجا[١١] على الحرم القدسي الشريف[١٢].

٢- مرسوم السُّلْطان النَّاصر محمد قلاوون (الوثيقة رقم ٨)، المؤرخ في ٢ رجب سنة ٧٠١هـ/ مارس١٣٠٢م، وهو يتعلق بالوصية بأوقاف الحرمين الشريفين (الحرم القدسي–الحرم الخليلي)[١٣].

٣- مرسوم السُّلْطان الأشرف شعبان (الوثيقة رقم ٦)، المؤرخ في ٤ جُمادى الآخرة سنة ٧٦٦هـ/ فبراير١٣٦٥م، والخاص بإبطال ما هو مقطع من الجوالي[١٤] بقرية مجدل فضيل[١٥] بمدينة الخليل باسم الأمير سعد الدين مسعود بن محمد السراي أحد الأمراء العشرات بدمشق مما كان مرتبًا باسم خدام الحرم القدسي الشريف[١٦].

٤- مرسوم السُّلْطان الظَّاهر جَقْمَق(الوثيقة رقم ٣٠٨)، المؤرخ في ١٨ ذو القعدة سنة ٨٤٤هـ/أبريل١٤٤١م، والذي يتعلق باستمرار أوقاف المسجد الأقصى، وتعيين وكلاء لإدارته.

٥- مرسوم السُّلْطان الظَّاهر جَقْمَق(الوثيقة رقم٣٠٤)، المؤرخ في ١٧ المحرم سنة ٨٥٠هـ/أبريل ١٤٤٦م، والخاص باستمرار وقف المسجد الأقصى[١٧].

٦- مرسوم السُّلْطان الأشرف إينال[١٨] (الوثيقة رقم ٣٠٩)، المؤرخ في ١٣ جُمادى الأولى سنة ٨٦١هـ/ أبريل ١٤٥٧م، وهو ما سوف نتناوله بالدراسة والنشر.

٧- مرسوم السُّلْطان الظَّاهر خُشْقَدَم(٨٦٥-٨٧٢هـ/١٤٦١-١٤٦٧م)(الوثيقة رقم١)، المؤرخ في ربيع الآخر سنة ٨٦٦هـ/ يونيو١٤٦٢م، والخاص بصرف جوالي قرية طيبة لسم[١٩] على مصالح الصخرة الشريفة[٢٠].

مرسوم السُّلْطان الأشرف إينال الصادر في ١٣ جُمادى الأولى ٨٦١هـ/ أبريل ١٤٥٧م:

ترجع أهمية المرسوم الذي أصدره السُّلْطان الأشرف إينال إلى أنه يلقي الضوء على ضبط البيع والتقبين[٢١] في منشأتين تجاريتين من أوقاف المسجد الأقصى، وهما دار الوكالة وسوق الباشورة. فتقع دار الوكالة قرب طريق باب السلسلة، ويتوصل إليها من زقاق قصير يمتد من طريق باب السلسلة إلى جهة الشمال، وهي قريبة من سوق الخواجات(سوق التجار)، ومن سوق الباشورة، أي أنها تقع في منطقة تجارية[٢٢]. أما عن سوق الباشورة؛ فإنه يقع تجاه سوق العطارين من الجنوب[٢٣].

فمن المعروف أن مكانة مدينة القدس الدينية قد أدت إلى تدفق كثير من الحجاج المسلمين من مصر وبلاد الشام والعراق وغيرها لزيارة المقدسات الإسلامية، وكان هناك ممن لا يستطيع الذهاب إلى مكة لأداء فريضة الحج يجاور في المسجد الأقصى، ويصوم شهر رمضان ويستمر بالمدينة حتى يوم عرفة[٢٤]. كما شهدت القدس قدوم أعداد كبيرة من الحجاج والرحالة الأوربيين لزيارة الأماكن الدينية المسيحية والإقامة بها خلال الأعياد والمواسم الدينية، مما ساهم في انتعاش اقتصادها. فقد كان موسم الحج بمثابة فترة للرواج الاقتصادي، حتى إنه لا يكاد يصل الحجاج إلى القدس من كل أنحاء البلاد، حتى تصبح المنطقة الواقعة أمام مدخل كنيسة القيامة مكانًا يعرض فيه الحجاج ما معهم من بضائع للبيع، مما كان يؤدي إلى حدوث معاملات تجارية في تلك المنطقة، بالإضافة إلى أن هؤلاء الحجاج كانوا يحملون معهم في رحلة العودة كثيرًا من السلع والبضائع الشرقية إلى أوربا[٢٥].

وليس ثمّة شك أن الرواج التجاري في مدينة القدس قد ساعد على كثرة المنشآت التجارية وتنوعها؛ كالأسواق، والقياسر[٢٦]، والخانات[٢٧]، والحوانيت لبيع مختلف السلع والبضائع، مما جعل المدينة مركزًا تجاريًا مهمًّا[٢٨]. وهو ما أشار إليه ابن شاهين الظَّاهري[٢٩] أن بمدينة القدس «أسواق كثيرة من جملتها ثلاث قصبات على صف واحد، قيل أنه لم يكن بغالب البلاد نظيرها». كما وصف الرابي اليهودي عوبديا[٣٠]، الذي كان يقيم بالقدس في سنة ٨٩٣هـ/ ١٤٨٨م، أسواق المدينة وما كان يُباع فيها بأنها كانت «تضم أربعة أسواق طولية، من أجمل ما رأيت وكأني لم أرى أبدًا بهاءً يماثل بهاءها من قبل. وجميع أسقفتها تتخذ الشكل القبابي في البناء، وتضم بضائع من شتى الأنواع، وهي مقسمة إلى محلات بيع مختلفة، حيث الدكاكين الخاصة بالتجار، ودكاكين التوابل، وأسواق بيع الخضار، وفي إحدى هذه الأسواق كان يُباع الطعام مطهيًا».

وقد أمدتنا وثائق الحرم القدسي بعدد كبير من أسماء الأسواق التي كانت موجودة بالقدس خلال العصر المملوكي[٣١]، منها أسواق أوقفت على مصالح المسجد الأقصى، وفي هذا الشأن أشار مجير الدِّين الحنبلي[٣٢] إلى ثلاثة أسواق محكمة البناء بالقرب من باب المحراب المعروف بباب الخليل، «فالأول منها وهو الغربي سوق العطارين وقف الملك صلاح الدين رحمه الله تعالى على مدرسته الصلاحية، والذي يليه وهو الأوسط لبيع الخضروات، والذي يليه لجهة الشرق لبيع القماش وهما وقف على مصالح المسجد الأقصى الشريف».

وكانت الخانات من المنشآت التجارية بالقدس التي كانت تؤدي وظيفة الأسواق أيضًا، وقد أصبحت من أهم مؤسسات التجارة الداخلية والخارجية، حيث كان الهدف من وجودها داخل المدينة هو خدمة التجارة الداخلية بالدرجة الأولى، ثم التجارة الخارجية، أما تجارة العبور فقد كان لها خانات أخرى تقام خارج المدينة على الطرق التجارية[٣٣].

ومن المنشآت التجارية المهمة بمدينة القدس الشريف دار الوكالة، والتي كانت وقفًا على المسجد الأقصى، وقد قام السُّلْطان الظَّاهر برقوق بتجديدها في سنة ٧٨٨هـ/١٣٨٦م، وأثبت ذلك من خلال نقش كتابي على لوحة رخامية بما نصّه:

١- بسم الله الرحمن الرحيم جدد هذه القيسارية وقف حرم القدس

٢- الشريف مولانا السُّلْطان الملك الظَّاهر أبو سعيد برقوق خلد الله ملكه

٣- بنيابة مولانا ملك الأمراء[٣٤] بيدمر[٣٥] كافل الممالك[٣٦] بالشام عزّ الله أنصاره

٤- إنشاء (هكذا) الفقير إلى الله تعالى السيفي اصبغا بن بلاط[٣٧] ناظر الحرمين الشريفين في سنة ثمان وثمنين وسبعمئة[٣٨].

ويتضح من ذلك أن السُّلْطان الظَّاهر برقوق أمر بتجديد دار الوكالة التي كانت قيسارية في تلك الفترة على نحو ما ورد في النقش الكتابي، وأنها أوقفت على مصالح المسجد الأقصى. وهذا يعني أن هناك بناءً قديمًا وجدد، لأن التجديد في مفهومه اللغوي، هو جعل الشيء القديم جديدًا ولا يعني تغيره كليًّا[٣٩]. وقد وصف مجير الدين الحنبلي دار الوكالة بأنها «خان عظيم وقف على مصالح المسجد الأقصى يؤجر في السنة بنحو أربعمائة دينار يباع فيه أصناف البضائع»[٤٠]. وهو ما يوضح بأنه كان يحدث خلط بين القيسارية والوكالة والخان في كثير من الأحيان، وهو الأمر الذي أشار إليه المقريزي في بداية حديثه عن وكالة قوْصُون[٤١] بأن «هذه الوَكالة في معنى الفنادق والخانات»[٤٢].

وهذا المرسوم من نوع المراسيم المربعة الصادرة عن ديوان الجيش[٤٣]، وقد أورد القَلْقَشَنْدي[٤٤] صورة لما يكتب في المربعة الجيشية التي تختص بإقطاع[٤٥] أحد الأمراء أو المماليك السُّلْطانية، حيث كانت تُكتب ورقة مربعة على هيئة صفحتين متقابلتين، ويترك أعلى ظاهر الورقة الأولى منها بياضًا، ويكتب في ذيلها من أسفل المربعة إلى أعلاها أسطرًا قصيرة، على قدر عَرْض ثلاثة أصابع ما صورته: «مثالٌ شريف- شَرَّفه الله تعالى

وعظمه– بما رُسِم به الآن: من الإقطاع» باسم من عين فيه من الأمراء أو من المماليك السُّلْطانية بالديار المصرية، أو بالمملكة الفلانية، أو من الحَلقْة المصرية أو الشامية، أو نحو ذلك «على ما شرح فيه حسب الأمر الشريف شرّفه الله تعالى وعظمه». وتحت ذلك كلِّه ما صورته:« يحتاج إلى الخط الشريف أعلاه الله تعالى». ثم يَكتُب داخل تلك الورقة بعد إخلاء هامش عَرْض إصبعين البسملة، وتحتها في سطر ملاصق لها: «المرسوم بالأمر الشريف العاليّ، المولوي، السُّلْطانيّ» ثم ينزل إلى قدر ثلثي الصفحة، ويكتب في السّطر الثاني بعد البياض الذي تركه: «الملكيّ الفلانيّ الفلانيّ» بلقب السلطنة: كالنَّاصريّ، ولقب السُّلْطان الخاص كالزّينيّ «أعلاه الله تعالى وشرّفه، وأنفذه وصرّفه، أن يقطع من يذكر: من رجال الحلقة بالدّيار المصرية أو المملكة الشامية أو نحو ذلك، ما رسم له به الآن في الإقطاع، حسب الأمر الشريف شرّفه الله تعالى وعظّمه».

فإذا انتهى ما تضمنته المربعة يكتب: «بعد العلامة الشريفة أعلاها الله تعالى أعلاه وثبوته، ثم إن شاء الله تعالى، ثم التأريخ، ثم الحمدلة، ثم الحسبلة»[٤٦].

وهنا يُطرح تساؤل مهم حول أسباب صدور هذا المرسوم عن ديوان الجيش؟

المرسوم من حيث الشكل المادي مرسوم مربع صادر عن ديوان الجيش ومدون على هوامشه الاثباتات الخاصة بنزوله في هذا الديوان، وعلى الرغم من أن القَلْقَشَنْدي أشار إلى المربعات الجيشية بأنها تختص بأمر الإقطاع، إلا أن هذا المرسوم لا يتعلق بالإقطاع، وعلى هذا هناك ثلاثة احتمالات وراء صدوره عن ديوان الجيش وهي:

الاحتمال الأول: أن أصل الأرض التي شيدت عليهما دار الوكالة والباشورة كانت إقطاع، ثم أسقطت من الإقطاع وأصبحت وقفًا على المسجد الأقصى، ثم أصبح كل إجراء يختص بهما يثبت في ديوان الجيوش المنصورة كل مرة.

الاحتمال الثاني: أن ريع هاتين المنشأتين كان يُصرف على مصالح المسجد الأقصى باعتبارهما وقفًا عليه، إلا أن المعاملات التجارية التي كانت تحدث بين التجار كانت تُفرض عليها مكوس تخصص نسبة منها كمرتبات للمقطعين(٤٧).

الاحتمال الثالث: أن تكون حدثت بعض المتغيرات في أعمال الديوان وأشكال الكتابة في الفترة التالية لوفاة القَلْقَشَنْدي سنة ٨٢١هـ/١٤١٨م، خاصة في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي. وهذا ما أكده أحد الباحثين(٤٨) الذي أشار إلى أن الشائع عن المراسيم المربعة أنها نوعًا من الوثائق التي تصدر خلال إجراءات منح الإقطاعات، إلا أن وثائق بيع أملاك بيت المال تثبت أن المراسيم المربعة كانت تصدر عن السلاطين وتوجه إلى وكلاء بيت المال تفوضه في بيع أملاك بيت المال، وأنها لم تكن قاصرة على منح الإقطاعات كما هو شائع.

وليس أدل على ذلك أن المراسيم السُّلْطانية السبعة من وثائق الحرم القدسي الشريف تضم خمسة مراسيم مربعة وهي: مرسوم السُّلْطان الأشرف شعبان من عصر سلاطين المماليك البحرية، وهو المرسوم الوحيد الذي يختص بأمر الإقطاع، بينما المراسيم الأربعة الأخرى ترجع للنصف الثاني من عصر سلاطين المماليك الجراكسة، وهي تضم مرسومين للسلطان الظَّاهر جَقْمَق، ومرسوم للسلطان الظَّاهر خُشْقَدَم، إلى جانب مرسوم السُّلْطان الأشرف إينال، وهذه المراسيم لا تتعلق بالإقطاع، وهو ما يؤكد هذا الاحتمال، ويفسر صدور هذا المرسوم عن ديوان الجيش.

على أية حال، فقد نصَّ المرسوم على استمرار دار الوكالة وسوق الباشورة الموقوفتين على مصالح المسجد الأقصى كما جرى حالهما من بيع الأصناف والبضائع وتقبين ذلك فيهما على عادة الوكالات الموجودة في القاهرة وغيرها من مدن الدولة المملوكية، التي كان ينزل فيها التجار بالبضائع المختلفة كالزيت والصابون والفُسْتق والجوز واللَّوز وغير ذلك(٤٩). ويتضح من سياق المرسوم أن هذه الوكالات كانت

منتظمة وملتزمة بشروط القِبَانة وأحكامها، بخلاف ما كانت عليه القِبَانة في دار الوكالة في تلك الفترة.

كما وجه السُّلْطان أوامره بإبطال ما استجده علي بن شهبة وأخوه محمد[٥٠] القبانيان، ومنعهما من التعرض إلى الأصناف الموجودة في دار الوكالة وسوق الباشورة، وعدم مزاولتهما لوظيفة وزن البضائع الخاص بهما. وما يُمكن أن يُستنتج من نص المرسوم أن هذين الأخوين كانا يعملان في وظيفة وزن البضائع، وربما فرضا على التجار رسومًا إضافية على البضائع، التي توزن بالقبَّان دون وجه حق، أو قاما بمنع تداول بعض الأصناف والبضائع المعروفة التي كانت تباع، أو بيع أصناف جديدة غير معروفة، أو قاما بمخالفة مهام وظيفتهما داخل دار الوكالة، وهي التلاعب بالقبَّان أثناء عملية الوزن، وهو ما يُعرف بالتطفيف في الموازين[٥١]. فمن المعروف أن القباني يعد طرفًا محايدًا بين التجار[٥٢]، لذا خضع القبَّان لمراقبة المحتسب، الذي كان يجب عليه أن يقوم باختباره من حين لآخر، بسبب كثرة استعماله في وزن البضائع الثقيلة وهو ما يؤدي إلى فساده، وكان عليه أن يختار رجلا أمينًا لا يقوم بمحاباة أحدً من أبناء صنعته، كما أنه «لا يمكِّنُ أحدًا من الوزن بالقبَّان إلاَّ مَنْ ثبتت أمانته وعدالته ومعرفته بالعدول من أهل الخبرة في مجلسه، فإنها صناعة قديمة، والبائع والمشتري واقفان لا يعلمان صحة ذلك من سقمه....»[٥٣].

مما سبق يتبين أهمية المرسوم الذي أصدره السُّلْطان الأشرف إينال في المحافظة على استمرار دار الوكالة وسوق الباشورة الموقوفتين على المسجد الأقصى في أداء عملهما على نحو فعال من بيع البضائع المختلفة ووزنها. كما حرص المرسوم على إبطال الرسوم التي استجدها اثنان من القبانيين ومنعهما من مزاولة عملهما.

ثانيًا: فهرسة المرسوم

١- الفهرسة الشكلية:

رقم الوثيقة: ٣٠٩

مصدر الوثيقة: صورة على ميكروفيلم بمعهد الدراسات الإسلامية بجامعة ماكجل McGill في مونتريال بكندا تحت رقم ١٥٢٠، عن الأصل المحفوظ بالمتحف الإسلامي بالقدس.

المادة المكتوب عليها: ورق

المادة المكتوب بها: حبر أسود

نوع الخط: خط الرقاع

الأبعاد: ٣٩×٢٩سم

عدد السطور: ١- باطن (وجه) الوثيقة: لوحة(١)

الصفحة اليمنى: تضم خمسة أسطر وبين السطر الثاني والثالث عبارات دعائية مثل: «الحمد لله حق حمده»، و«الحمد لله المرجو عفوه»، بالإضافة إلى تأشيرة ديوانية في الهامش الأيمن تفيد بتسجيله في ديوان الجيوش المنصورة.

الصفحة اليسرى: تضم خمسة أسطر، بالإضافة إلى سبعة تأشيرات ديوانية.

٢- ظهر الوثيقة: لوحة(٢)

الصفحة اليمنى: تضم ستة أسطر مع تدوينه في أعلى اليسار كتبها أحد الأشخاص ويُدعى «علي الناجي»؟

الصفحة اليسرى: توقيع السُّلْطان وكتبت تحته ثلاث تأشيرات ديوانية، بالإضافة إلى ملخص المرسوم من تسعة

أسطر مكتوب بطريقة عمودية.

الشكل: لا تختلف طريقة إخراج المرسوم عما كان متبعًا في مثل هـذا النوع من المراسيم المربعة من وثائق ذلك العصر. وقد أهمل الكاتب الشكل إهمالا تامًا، أما النقط فكثير من الكلمات والألفاظ وردت دون نقط. أما عن أسلوب الكتابة فقد أهمل الكاتب إثبات بعض الهمزات إهمالاً بارزًا، وأبدل الهمزة اللينة في وسط بعض الكلمات إلى حرف ياء مثل: «البضايع»(سطر٥)، «الوكايل»(سطر٦)، كما أهمل الهمزة المفردة في نهاية الكلمة في بعض الكلمات مثل كلمة «شاء» ظهر المرسوم (سطر٦)، والتأشيرات الديوانية. كما دمج الكاتب بعض الحروف بأسلوب الكتابة الديوانية.

٢– الفهرسة الموضوعية:

موضوع الوثيقة: مَرْسُوم السُّلْطان الأشْرَف إينال الخاص بضبط وزن البضائع بدار الوكالة وسوق الباشورة بالقدس الشريف.

التاريخ: ١٣ جُمادى الأولى ٨٦١هـ/أبريل ١٤٥٧م

وقد حافظت على النص محافظة تامة، وأبقيت عليه دون تصحيح أو تعديل لكي يدل على أسلوب وثائق ذلك العصر، وجعلت كل سطر من أسطر الوثيقة مستقلا عن غيره.

ثالثًا: نص المرسوم

– وجه المرسوم:

١– بسم الله الرحمن الرحيم وهو حسبي

٢– المرسوم بالامر الشريف العالي[٥٤] المولوي[٥٥] السلطاني[٥٦]

الحمد لله على نعمه[٥٧] الحمد لله حق حمده الحمد لله المرجو عفوه الحمد لله وبه الاعانه

ليثبت بديوان النظر على الجيوش المنصورة

٣– الملكي[٥٨] الاشرفي[٥٩] السيفي[٦٠] اعلاه الله تعالى وشرفه وانفذه في الافاق وصرفه

٤– ان تجري دار الوكاله والباشوره بالقدس الشريف الجارى ذلك في اوقاف

٥– المسجد الاقصى الشريف على جاري عادتهما من بيع الاصناف والبضايع

٦– المعروفه بها وتقبين ذلك فيهما على عادة الوكايل بالقاهرة المحروسة

٧– وغيرها وابطال ما استجده علي بن شهبه القباني واخيه محمد

٨– ومنعهما من التعرض في الاصناف والتقبين المتعلق بهما بمقتضى

٩– الأوراق المشموله بالخط الشريف

اثبت بديوان الجيوش المنصورة

اثبت بديوان الجيوش المنصورة نزل علم ذلك بديوان

١٠– حسب الامر الشريف شرفه الله تعالى وعظمه

نزل علم ذلك نزل علم ذلك نزل علم ذلك نزل علم ذلك

بديوان بديوان بالديوان ذلك

الجيوش الجيوش المعمور[٦١]

المنصورة المنصورة

– ظهر المرسوم:

١– بعد الخط الشريف شرفه الله تعالى اعلاه[٦٢]

٢– ان شاء الله تعالى

٣– كتب ثالث عشر شهر جمادى الاولى عام احد وستين وثمانمايه[٦٣]

٤– والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم[٦٤]

٥– وحسبنا الله ونعم الوكيل[٦٥]

٦– حـــ[٦٦]

١– مرسوم شريف شرفه الله وعظمه

٢– أن تجري دار الوكاله والباشوره

٣– بالقدس الشريف الجاريه في أوقاف

٤– المسجد الأقصى على جاري

٥– العادة من بيع الاصناف

٦– والبضايع المعروفه بها

٧– على ما شرح باطنه

٨– حسب الامر الشريف شرفه الله تعالى وعظمه

٩– يحتاج للخط الشريف شرفه الله تعالى واعلاه

اينال[٦٧]

شا الله تعالى على النظر بديوان ان ليثبت الجيوش المنصورة

شا الله تعالى الجيوش بديوان ليثبت المنصورة ان

شا الله تعالى الجيوش بديوان ليثبت المنصورة ان

خريطة تبيّن موقع دار الوكالة وسوق الباشورة

عن: كامل العسلي: من آثارنا في بيت المقدس، أمام ص ٢٩٦.

اللوحات

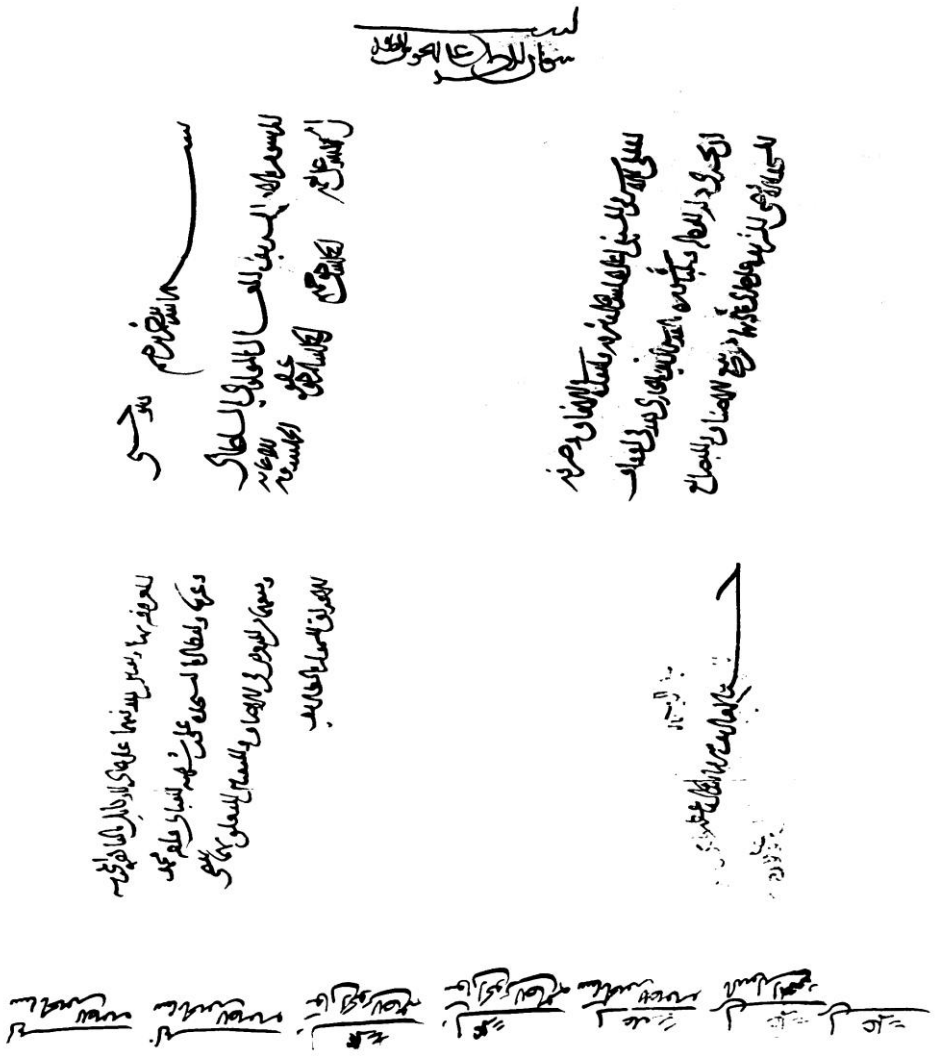

لوحة (١) وجه المرسوم

لوحة (٢) ظهر المرسوم

الحواشي:

(١) علي السيد علي: القدس في العصر المملوكي، الطبعة الأولى، دار الفكر للدراسات والنشر، القاهرة، ١٩٨٦م، ص٢٥-٢٦.

(٢) انظر: المَقْريزي(تقي الدِّين أحمد بن علي بن عبد القادر، ت ٨٤٥هـ/١٤٤٢م): السُّلُوك لَمَعْرِفَة دُوَلِ المُلوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة، الطبعة الرابعة، مركز تحقيق التراث، دَار الكُتب وَالوَثَائِق القَوميَّة، القَاهرة، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٤م، ج١ق٢، ص٤٩١، ج٢ق١، ص١٧٢؛ ج٤ق١، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، ص١٠٨، ٤٢٠.

(٣) محمد هاشم غوشه: الأوقاف الإسلامية في القدس الشريف دراسة تاريخية موثقة، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، استانبول، ٢٠٠٩م، ص١٤٢.

(٤) أشار مجير الدِّين الحنبلي بأن المفهوم المتعارف عليه بين الناس في القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، أن المسجد الأقصى هو الجامع الكبير المبني في صدر المسجد الذي به المنبر والمحراب الكبير في الجهة القبلية من ساحة الحرم القدسي. غير أنه بيّن عدم صحة ما تعارف عليه النـاس وأن المسجد الأقصى«اسم لجميع المسجد مِمَّا دَار عليه السور». فهو يضم كل ما كان داخل سور الحرم القدسي من مساجد وقباب، ومدارس، وأروقة، ومنابر، وأبواب، وغيرها من المنشآت الدِّينية والتعليمية. (انظر: الحنبلي(أبو اليمن مجير الدِّين العليمي، ت ٩٢٨هـ/١٥٢٢م): الأنُس الجَليل بتاريخ القُدْس والخَليل، المكتبة الحيدرية، النجف، ١٩٦٨م، ج٢، ص٢٤؛ عبد الجليل عبد المهدي: الحركة الفكرة في ظل المسجد الأقصى في العصرين الأيوبي والمملوكي، سلسلة إصدارات: احتفالية الأردن بالقُدْس عاصمة للثقافة العربية، منشورات وزارة الثقافة، عمّان، ٢٠٠٩م، ص٧-١٣.

(٥) ابن عبد الظَّاهر(محي الدِّين عبد الله بن عبد الظَّاهر بن نشوان السعدي المصري، ت٦٩٢هـ/١٢٩٢م): الروض الزاهر في سيرة الملك الظَّاهر، تحقيق ونشر عبد العزيز الخويطر، الطبعة الأولى، الرياض، ١٩٧٦م، ص٨٩، ١٦٢؛ المَقْريزي: السُّلُوك، ج١ق٢، ص٤٤٥، ٤٩١.

(٦) الحنبلي: الأنُس الجَليل، ج٢، ص ٢٢، ٨٩-٩٣.

(٧) الحنبلي: الأنُس الجَليل، ج٢، ص٩٤، ٩٧.

(٨) وردت هذه التجديدات في نقش كتابي على أحد جدران المسجد الأقصى من نشر:
Max Van Berchem :Matériaux pour un Corpus inscriptionum arabicarum, partie Syrie du Sud Jérusalem «haram», l'Institut français d'archéologie orientale, Le Caire, 1925,pp.434, N.292.

(٩) للمزيد عن اهتمام سلاطين المماليك بنظام الوقف وما أوقفوه على المسجد الأقصى انظر: الحنبلي: الأنُس الجَليل، ج٢، ص ٩٦-٩٧.

(١٠) يرجع الفضل في اكتشاف هذه الوثائق إلى أمل أبو الحاج مساعدة مدير المتحف الإسلامي بالقدس، حيث اكتشفت في شهر أغسطس سنة ١٩٧٤م، في إحدى الخزائن المغلقة في المتحف الإسلامي مجموعة من الوثائق المملوكية يبلغ عددها ٣٥٤ وثيقة، وبعد ذلك بسنتين في أكتوبر سنة ١٩٧٦م عادت فاكتشفت مجموعة أخرى من الوثائق زاد عددها عن المجموعة الأولى فأصبح مجموع الوثائق المكتشفة يتراوح ما بين ١٣٠٠ و١٥٠٠ وثيقة تقع في ٨٨٣ ورقة، حسب الأرقام التي أعطيت لها، وهي تغطي الفترة من سنة ٦٠٤هـ/١٢٠٨م إلى سنة ٨٦٦هـ/١٤٦٢م. وبعد اكتشاف الوثائق بوقت قصير زارت القدس لندا نورثرب Linda Northurp الباحثة في معهد الدراسات الإسلامية بجامعة ماكجل في مونتريال بكندا فتعاونت هي وأمل أبو الحاج في ترتيب الوثائق ودراستها ونشرتا دراسة أولية عنها. وسرعان ما استرعت هذه الوثائق اهتمام دونالد ليتلDonald p. Little البروفيسور بجامعة ماكجل فحضر إلى القدس هو ولندا نورثرب والمصور مارتن ليونز Martin Lyons، وقاموا بتصوير الوثائق جميعها وأودعوا نسخة منها في المتحف الإسلامي بالقدس، ونسخة في جامعة ماكجل، كما توجد نسخة ثالثة في قسم الوثائق والمكتبات بالجامعة الأردنية.(للمزيد انظر: كامل جميل العسلي: وثائق مقدسية تاريخية مع مقدمة حول بعض المصادر الأولية لتاريخ القدس، منشورات الجامعة الأردنية، الطبعة الأولى، عمّان، ١٩٨٣م، ج١، ص٣٩–٤٠؛ علي السيد علي: دراسات حول مدينة بيت المقدس في وثائق الحرم القدسي الشريف، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٣م، ص ١٩–٣٠). ويحتفظ الباحث بنسخة كاملة من هذه الوثائق في ٤ أجزاء عن الميكروفيلم الموجود في جامعة ماكجل.

(١١) العوجا: أو العوجاء تقع في الشمال الغربي من أريحا، بالقرب من«عين العوجا».(مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، دار الهدى، كفر قرع، ١٩٩١م، ج٨ ق٢، ص٥٧٢).

(١٢) نشره: كامل جميل العسلي: وثائق مقدسية تاريخية، ج ١، ص١٧٧–١٨٠.

(١٣) نشره كل من: كامل جميل العسلي: وثائق مقدسية تاريخية، ج١، ص ١٨١–١٨٢؛ محمد عيسى صالحية: «من وثائق الحرم القدسي الشريف المملوكية»، حوليات كلية الآداب– الحولية السادسة، الرسالة السادسة والعشرون، جامعة الكويت، ١٩٨٥م، ص٤١–٤٧.

(١٤) الجَوَالي: جمع جالية، وهي ما يؤخذ من أهل الذِّمَّة عن الجزية المقَّررة على رقابهم في كل سنة. (القَلْقَشَنْدي: أبو العباس أحمد بن على، ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م): صُبْح الأعْشَى في صِنَاعة الإنْشا، الطبعة الثالثة، مركز تحقيق التراث، دَار الكُتب وَالوَثَائِق القَوميَّة، القَاهرة،١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ج٣، ص٤٦٢).

(١٥) مجدل فُضَيل: قرية تقع بالقرب من مدينة الخليل عليه السلام.(مصطفى الدباغ: بلادنا فلسطين، ج٥ ق٢، ص١١٢).

(١٦) نشره: كامل جميل العسلي: وثائق مقدسية تاريخية، ج١، ص ١٨٣–١٨٦.

(١٧) نظرًا لصعوبة قراءة هذين المرسومين، لم يتم تناولهما بالدراسة والنشر من قبل أحد الباحثين. ولمزيد من التفاصيل عنهما انظر: الفهرس الذي أعده دونالد ليتل عن وثائق الحرم القدسي الشريف.
Donald P. Little: A Catalogue of the Islamic documents from Al-Haram As-Sarif in Jerusalem, Franz Steiner Verlag, Wiesbaden- Beirut, 1984,pp.34-35.

(١٨) هو السُّلْطان الأشرف سيف الدِّين أبو النصر إينال العلائي الظَّاهري ثم النَّاصري فرج، المعروف بالأجرود، اشتراه السُّلْطان الظَّاهر برقوق هو وأخوه طوخ وهو أكبرهما من جالبهما علاء الدِّين، فانتقل إينال لولده الناصر فرج فأعتقه وصار خاصكيًا، ثم تنقل بعد ذلك في عِدَّة وظائف وأعمال إلى أن ولاه السُّلْطان الظَّاهر جَقْمَق الدّوَادارِيّة الكبرى، ثم نقله إلى الإمرة الكبرى، وتلقب بالأشرف إلى أن آلت إليه السلطنة في ربيع الأول ٨٥٧هـ/مارس ١٤٥٣م، وتوفي في جُمادى الأولى٨٦٥هـ/ فبراير١٤٦١م. (ابن تَغْري برْدِي(جمال الدِّين أبو المحاسن يُوسُف بن تَغْري برْدي الأتابكي، ت٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م): الدَّليلُ الشَّافي على المنهَل الصَّافي، حَقَّقَه وَقدَّم له فهيم محمد شلتوت، الطبعة الثانية، مركز تحقيق التراث، دارُ الكتُب وَالوَثَائق القَوميَّة، القاهرة، ١٩٩٨م، ج١، ص١٧٥-١٧٦ رقم٦٢٣؛ السخاوي(شمس الدِّين محمد بن عبد الرحمن الشافعي، ت٩٠٢ هـ/١٤٩٧م): الضَّوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٩٦م، ج٢، ص٣٢٨-٣٢٩ رقم١٠٨٠).

(١٩) طيبة لسم: أو طيبة الاسم قرية تقع إلى الشمال الشرقي من رام الله على بعد ١٢ كم عنها.(مصطفى الدباغ: بلادنا فلسطين، ج٨ ق٢، ٣٤١).

(٢٠) نشره: كامل جميل العسلي: وثائق مقدسية تاريخية، ج١، ص ١٨٩-١٩١.

(٢١) التقبين: مصدر قَبّن، أي وزنه بالقبَّان، وهو الميزان ذو الأذرع الطويلة المقسَّمة أقسامًا، ينقل عليه جسم ثقيل يسمى الرُّمّانة لتعين وزن ما يوزن. والقِبَانةُ: حرفة القبَّانيّ، وهو الوزّان بالقبّان.(مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، الطبعة الرابعة، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص٧١٣).

(٢٢) ظلت دار الوكالة تُعرف بهذا الاسم حتى أوائل العصر العثماني، ثم عُرفت باسم خان السُّلْطان وحتى اليوم. وهي مبنى مؤلف من طابقين، به ساحة كبيرة نسبيًا محاطة بالحواصل والدكاكين، وفي الطابق الأرضي قاعات كبيرة تقوم على دعامات مربعة، وكان هذا الطابق يستعمل لخزن البضائع ولإجراء المعاملات التجارية. ويصعد للطابق العلوي على ثلاثة سلالم وبه غرف من ثلاث جهات، الشمال والغرب والشرق، وأمامها ممشى مكشوف يمتد أمام الغرف جميعًا ويطل على الساحة.(لمزيد من التفاصيل انظر: كامل جميل العسلي: من آثارنا في بيت المقدس، منشورات الجامعة الأردنية، عمّان، ١٩٨٢م، ص٤٤). والوكالة: الجمع وكالات ووكائل، تطلق على العمائر التي أعدت لسكن التجار الشرقيين وحفظ بضائعهم، وهي تشبه الأسواق التجارية الحالية التي تعرف(بالبورصة). والوكالة اسم الخان في عرف المصريين، وسميت

وكالة لأنها موضع التوكيل والوكلاء غالبًا، ومن حيث الشكل المعماري فالوكالة مثل الخانات والفنادق. وهي المكان الذي كانت ترد إليه البضائع المستوردة من خارج البلاد ومنها توزع على باقي الأسواق.(آمال العمري: المنشآت التجارية في القاهرة في العصر المملوكي، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب– جامعة القاهرة، ١٩٧٤م، ص ١٦٦؛ محمد محمد أمين وليلى علي إبراهيم: المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية(٦٤٨–٩٢٣هـ/١٢٥٠–١٥١٧م)، دار النشر بالجامعة الأمريكية، القاهرة، ١٩٩٠م، ص١٢١).

(٢٣) عارف العارف: المفصّل في تاريخ القدس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمّان، ٢٠٠٥م، ص٦٨٣.

(٢٤) ابن الصبّاح(الحاج عبد الله بن الصبّاح الأندلسي، توفي في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي): نسبة الأخبار وتذكرة الأخيار(رحلة حجازية)، تقديم وتحقيق جمعة شيخة، الطبعة الأولى، المطبعة المغاربية للطباعة والنشر، تونس، ٢٠١٢م، ص ٢٠٠.

(٢٥) علي السيد علي: القدس في العصر المملوكي، ص٢١٦–٢١٧.

(٢٦) القياسر: جمع قيسارية، وهي تعتبر نوعًا من الأسواق في بعض الأحيان، أو بمثابة سوق صغيرة، ولعلها مأخوذة من كلمة قيصرية Cesarie، وكانت من المنشآت التي بُنيت في العصر المملوكي للأغراض التجارية، وكانت تعلوها الرباع ليسكنها التجار وأرباب الحرف والصناع، وكانت مسقوفة، وقد ظهرت في بلاد الشام قبل مصر، وكانت متخصصة في بيع سلعة معينة .(نعيم زكي فهمي: طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب(أواخر العصور الوسطى)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣م، ص ٢٩٥–٢٩٦؛ آمال العمري: المنشآت التجارية، ص ١١٧–١١٨). وقد أمدتنا وثائق الحرم القدسي بأسماء بعض القيساريات التي كانت موجودة في القدس خلال العصر المملوكي، ومنها: قيسارية الروم، وثيقة اشهاد رقم ٦٧٢ بتاريخ ١٩ صفر ٧٩٥هـ سطر ٣–٤؛ قيسارية القطن، وثيقة حصل الوقوف رقم ٤٦٥ بتاريخ ٢٩ شوال ٧٩٥هـ سطر ٧؛ قيسارية الروم، وثيقة إشهاد رقم ٦٧٢ بتاريخ ١٩ صفر ٧٩٥هـ سطر ٣–٤. صورة ميكروفيلم بمعهد الدراسات الإسلامية بجامعة ماكجل McGillفي مونتريال بكندا عن النسخة الأصلية المحفوظة بالمتحف الإسلامي في القدس، تحت رقم ١٥٢٠–١٥٢٣ في ٤ أجزاء، رقم(١) من الوثيقة ١–٣٤٧؛ رقم(٢) من الوثيقة ٣٤٨–٥٦٤؛ رقم(٣) من الوثيقة ٥٦٥–٧٧٠؛ رقم(٤) من الوثيقة ٧٧١–٨٣٣. وقيسارية القدس، وثيقة شهادة رقم ٣٥ بتاريخ ٤ ربيع الآخر سنة ٧٧٨هـ سطر ٥: من نشر: كامل جميل العسلي: وثائق مقدسية تاريخية، ج١، ص٢٧٦.

(٢٧) الخان: الجمع خانات، كلمة فارسية معناها منزل أو سوق، واستعملت للدلالة على البناء الذي يتكون من عدد من الحجرات وتحيط بفناء مكشوف، يضم غالبًا طبقتين فوق بعضهما، يحوي الدور الأرضي من

الداخل إسطبلات للحمير والدواب، ومن الخارج صفا من الحوانيت الصغيرة، وضمت الأدوار العلوية طباقاً للسكن. (آمال العمري: المنشآت التجارية، ص ١٤٦).

(٢٨) الحنبلي: الأنُس الجَليل، ج٢، ص٥٠-٥٤.

(٢٩) ابن شاهين: زبدة كشف الممالك، ص ٨٣.

(٣٠) الخطاب الأول من خطابات الرابي عوبديا جاردا برتينورو بتاريخ ٨ سبتمبر ١٤٨٨م، ترجمة ونشر: علي أحمد محمد السيد: اليهود في شرق البحر المتوسط، الطبعة الأولى، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٦م، التذييل على الدراسة، ص٢٥٥.

(٣١) من هذه الأسواق: سوق داوود، وثيقة بيع رقم ٣٥٢ بتاريخ ٢٠ رمضان ٧٦٥هـ سطر ٤؛ سوق القمح وثيقة بيع رقم ٨٥٣ بتاريخ العشر الأول من جُمادى الأولى ٧٨١هـ سطر ٢؛ سوق الصلاحية، وثيقة إقرار رقم ٣٤٤ بتاريخ ٢٩ رجب ٧٨٣هـ سطر ١٥؛ سوق الخلع، وثيقة حصل الوقوف رقم ٥٢٥ بتاريخ ٣٠ شوال ٧٩٣هـ سطر١٢؛ ووثيقة شهادة رقم ٦١١ بتاريخ ١٦ رمضان ٧٩٥هـ سطر٣؛ سوق القطن، وثيقة حصل الوقوف رقم ١٥٦ بتاريخ ٢٢ ذو القعدة ٧٩٥هـ سطر٤ ؛ سوق باب السلسلة وثيقة حصل الوقوف رقم ٤١٧ بتاريخ ٦ جُمادى الآخرة ٧٩٦هـ سطر ٤؛ السوق الوسطاني وثيقة إقرار ٣٢٥ بتاريخ ١٢ ربيع الأول ٧٩٧هـ سطر ٦؛ سوق الحطب، وثيقة بيع رقم ٢٦٧ بتاريخ ٢ رجب ٧٩٧هـ سطر ٥؛ سوق البيمارستان الصلاحي، وثيقة يشهد من يضع خطه من الشهود العدول رقم ٦١٨ بتاريخ ٢ رمضان سنة ٧٩٧هـ سطر ٥؛ سوق القطانيين وثيقة ورقة مباركة غير مؤرخة رقم ٧٧٠ ج سطر ٢.

(٣٢) الأنُس الجَليل، ج٢، ص٥٠.

(٣٣) نعيم زكي فهمي: طرق التجارة الدولية، ص٢٩٣-٢٩٤؛ علي السيد علي: القدس في العصر المملوكي، ص٢٠٤- ٢٠٥.

(٣٤) مَلِك الأُمراء: من الألقاب التي اصطُلح عليها لكُفَّال الممالك من نُواب السلطنة، كأكابر النُّواب بالممالك الشامية ومن في معناهم. وذلك أنه قام فيهم مَقَام السلطنة في التصرّف والتنفيذ، والأمراء في خدّمته كخدّمة السُّلْطان، وأكثر ما يخاطب به النواب في المكاتبات.(القَلْقَشَنْدي: صُبْح الأعْشَى، ج٥، ص٤٥٥).

(٣٥) هو الأمير سيف الدِّين بَيْدَمُر بن عبد الله الخُوَارِزْمي، ترقى في عدة مناصب منها حجوبية الحجاب بدمشق ثم انتقل إلى نيابة حلب، ثم ولي نيابة دمشق ست مرات، ثم قبض عليه وسجن في قلعة دمشق ومات بها في صفر ٧٨٩هـ/١٣٨٧م، ودفن بتربته بالقرب من الجامع الكَريمي. (ابن قاضي شُهْبَة(تقي الدِّين أبي بَكر

بن أحمد الأسدي الدِّمَشْقي، ت٨٥١هـ/١٤٤٨م): تاريخ ابن قاضي شُهْبَة، حَققَه عدنان دَرويش، المعَهَد العلمي الفِرنسي للدِّراسات العَرَبيَّة، دِمَشْق، ١٩٩٤م، ج٣، ص٢٢٦–٢٢٧).

(٣٦) كافل الممالك بالشام: يقصد بهذه الوظيفة نائب الشام، وهي اسم وظيفة مستمدة من وظيفة كافل. والكافل من الألقاب المختصَّة بنائب السطنة، ومعناه في اللغة الذي يَكفُل الإنسان ويَعُولُه، والكافل أيضًا الضامن كالكفيل، والكافل صار يُطلق في العصر المملوكي على كافة النواب مثل نائب دمشق ونائب حلب وغيرهما، وفي هذه الحالة كان يُضاف إلى لفظة كافل اسم النيابة أو المملكة، مثل كافل دمشق، أو كافل الممالك الإسلامية، وكافل الممالك بالشام المحروس وغير ذلك. (انظر: القَلْقَشَنْدي: صُبْح الأعْشَى، ج٤، ص١٨٤، ٢١٧، ج٥، ص٤٥٣–٤٥٤، ج٦، ص٢٤، ٦٦؛ حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٦م، ج٢، ص٩٣٣–٩٣٤؛ ٩٤٥).

(٣٧) ربما المقصود به أصفهان بلاط، الذي كان ناظرًا للحرمين الشريفين في سنة ٨٠٤هـ/١٤٠١–١٤٠٢م. الحنبلي: الأنُس الجَليل، ج٢، ص٢٧٣.

(٣٨) هذا النقش الكتابي مكتوب على لوح من الرخام مقاسه(٦٦× ٤٨ سم)، في الجهة الغربية من الزقاق الذي يؤدي إلى خان السُّلْطان(دار الوكالة)، وعلى ارتفاع حوالي أربعة أمتار من الأرض. وهو مكون من أربعة أسطر من الخط النسخي المملوكي. للمزيد انظر:

Max Van Berchem: Matériaux pour un Corpus inscriptionum arabicarum,Deuxieme partie Syrie du Sud Jérusalem«Ville », l'Institut français d'archéologie orientale, Le Caire, 1922,p.300, N.91.

وكامل جميل العسلي: من آثارنا في بيت المقدس، ص٤٥.

(٣٩) كامل جميل العسلي: من آثارنا في بيت المقدس، ص ٤٦.

(٤٠) جاء وصف الحنبلي لها في سياق حديثه عن (خطّ داوُد عليه السَّلام)، وهُوَ الشَّارع الأعظم الذي يبدأ من باب المسجد الأقصى المعروف بباب السلسلة إلى باب المِحراب وهو باب المدينة. (الأنُس الجَليل، ج٢، ص٥٢).

(٤١) هو الأمير سيف الدّين قوْصُون بن عبد الله النَّاصري الساقي، أحد خَواصّ السُّلْطان الناصر محمد بن قلاوون وعظيم دولته، ووقع له أمور بعد وفاة الناصر محمد، إلى أن وقبض عليه وحبس في الإسكندرية إلى أن قتل بها خنقًا في شوال سنة ٧٤٢هـ/مارس ١٣٤٢م.(ابن تَغْري برْدِي: الدَّليلُ الشَّافي على المنهَل الصَّافي، ج٢، ص٥٥١ رقم ١٨٩٣).

(٤٢) كانت تقع هذه الوكالة فيما بين الجامع الحاكمي ودار سعيد السعداء.(المَقْريزي: تقيِّ الدِّين أحمد بن علي بن عبد القادر، ت٨٤٥هـ/١٤٤٢م): المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، قَابَلَهُ بأصُوله وأعَدَّهُ

للنَّشر أَيمَن فُؤاد سَيِّد، الطبعة الثانية، مُؤَسَّسَة الفُرقان للتُّراث الإسلامي، لنـــدن،٢٠١٣م، مـــج ٣، ص ٣٠٩).

(٤٣) ديوان الجيش: وقد عُرف بديوان الجيوش المنصورة، ويقسم إلى قسمين: قسم يُعرف بديوان الجيش المصري، والثاني بديوان الجيش الشامي. وكان يشرف عليهما موظف كبير في الديوان، يُسمى : مستوفي الجيش، يختص بمصادر الانفاق على الجيش، أحدهما للديار المصرية، والآخر للديار الشامية. وكان أساس عمل ديوان الجيش هو تسجيل أسماء الجند وأعدادها ونفقاتها.(ابن شاهين(غرس الدِّين خليل بن شاهين الظَّاهري، ت٨٧٢هـــ/١٤٦٨م): زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية- صيدا-بيروت، ٢٠١١م، ص ١٨٦؛ عبد المنعم ماجد: نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر(دراسة شاملة للنظم السياسية)،الطبعة الثانية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٩م، ج١، ص١٣٩).

(٤٤) اكتفينا بما أورده القَلْقَشَنْدي عن صورة المربعة الجيشية وما يتوافق والذي جاء في المرسوم من حيث طريقة الكتابة.(صُبْح الأعْشَى، ج٦، ص٢٠١-٢٠٢؛ ج١٣، ص١٥٤-١٥٦؛ محمد محمد أمين: «منشـــور بمنح إقطاع من عصر السُّلْطان الغوري» دراسة ونشر وتحقيق للوثيقة رقم ٧٨٩ ج محفوظات (دفتر خانة) وزارة الأوقاف بالقاهرة، مجلة حوليات إسلامية- المجلد ١٩، المعهد الفرنسي للآثار الشـــرقية القـــاهرة، ١٩٨٣م، ص ٧-٨).

(٤٥) الإقطاع: ما يقتطعه ولي الأمر لنفسه أو يمنحه لغيره من أرض أو أي نوع من المال الثابـــت أو المنقـــول، وتسمى الأرض المقطعة بالقطيعة والجمع قطائع أو إقطاعًا والجمع إقطاعات.(إبراهيم علي طرخان: النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨م، ص ٤٧٢).

(٤٦) ابن ناظر الجيش(تقي الدِّين عبد الرحمن بن محمد التميمي الحَلبي، ت٧٨٦هـــ/١٣٨٤م): تثقيف التَّعْريف بالمصطلح الشريف، تحقيق رودلف فَسَلِي، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٧٦م، ص١٥١).

(٤٧) كانت المكوس وتوزيعها إقطاعات في عصر سلاطين المماليك يختص جزء منها بالديوان السُّلْطاني مثل مقرر البضائع الواردة إلى موانئ مصر وهي عيذاب والقصير والطور والسويس، ومنها مـــا يخـــتص بـــالمقطعين لوقوعها في البلاد الداخلة في إقطاعاتهم. ومن المكوس التي كانت تتعلق بالنشاط التجـــاري وأصـــبحت إقطاعية، مكس ساحل الغلة ونصف السمسرة وغيرها.(انظر: إبراهيم علي طرخان: النظم الإقطاعية، ص ٧٧-٧٩).

(٤٨) والمراسيم المربعة في وثائق بيع أملاك بيت المال وردت في: وثيقة بيع رقم ٢٢/١٣٨ دار الوثائق القومية، بتاريخ ١٧ جُمادى الآخرة سنة ٨٦٣هـــ سطر ١٥؛ وثيقة بيع رقم ٣٦/٢٢٦ دار الوثـــائق القوميـــة،

بتاريخ ١٤ جُمادى الآخرة سنة ٩٠٥هـ، سطر ١٤؛ وثيقة بيع رقم ٧٨٣ج أوقاف، بتاريخ المحرم سنة ٩٠٧هـ، سطر ٢١؛ من نشر وتحقيق: عماد بدر الدين أبو غازي: دراسة دبلوماتية في وثائق البيع من أملاك بيت المال في عصر المماليك الجراكسة مع تحقيق ونشر بعض الوثائق الجديدة في أرشيفات القاهرة، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب–جامعة القاهرة، ١٩٩٥م، مج ١، ص ١٦–١٧، مج٢، ص٢٩٧،١٣٤، ٣٢٩، والملحق الخامس، معجم المصطلحات الواردة في وثائق البيع من أملاك بيت المال، ص ٧١٤.

(٤٩) ومن أمثلة هذه الوكالات في القاهرة: وكالة قوْصُون التي كان ينزلها التجار ببضائع بلاد الشام المختلفة. ووكالة باب الجوانية التي رسم السُّلْطان الظاهر برقوق في سنة ١٣جُمادى الأولى سنة ٧٩٣هـ/أبريل ١٣٩١م أن تكون دار وكالة يرد إليها ما يصل إلى القاهرة، وما يرد من صنف متجر الشام في البحر كالزيت والرُّبّ والدَبْس، ويصير ما يرد في البر يُدْخل به على عادته إلى وكالة قوصون.(المَقْريزي: المواعظ والاعتبار، مج٢، ص٤٧٨، مج ٣، ص ٣٠٩–٣١١). كما كانت توجد دارًا للوكالة بدمشق داخل باب الجابية.(النعيمي: عبد القادر بن محمد المشقي، ت٩٢٧هـ/١٥٢٠م)، الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق جعفر الحسيني، الطبعة الثانية، مكتبة الثقافة الدِّينية، القاهرة، ٢٠٠٦م، ج٢، ص٣٠٦؛ قتيبة الشهابي: معجم دمشق التاريخي للأماكن والمشيدات ومواقعها وتاريخها كما وردت في نصوص المؤرخين، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، ١٩٩٩م، ص ٢٨٨). كما أشارت وثيقة وقف السُّلْطان الأشرف قايتباي على مدرسته بالقدس الشريف إلى بعض الأراضي والمباني الموقوفة ومنها: خان بخط دار الوكالة بغزة.(عبد اللطيف إبراهيم علي: «وثيقة وقف السُّلْطان قايتباي «دراسة وتحليل» المدرسة بالقدس والجامع بغزة»، بحث منشور في كتاب: المؤتمر الثالث للآثار العربية في البلاد العربية، مدينة فاس ٨–١٨ نوفمبر(تشرين الثاني) ١٩٥٩م، القاهرة، ١٩٦١م، ص ٤٠٩.

(٥٠) لم أعثر على ترجمة لهما فيما توفر لدي من مصادر.

(٥١) عمل بعض القبانيين كموظفين في الخانات والوكالات، ومنهم من عمل في ديوان القبان الذي كان يوجد في موانئ الدولة المملوكية كالإسكندرية وبيروت وغيرهما، وهو المكان الذي تحفظ فيه الموازين والمكاييل، حيث تعاين فيه المبيعات والمشتريات وتسجل.(سمير علي الخادم: الشرق الإسلامي والغرب المسيحي عبر العلاقات بين المدن الإيطالية وشرقي البحر المتوسط، الطبعة الأولى، مؤسسة دار الريحاني للطبعة والنشر، بيروت، ١٩٨٩م، ص٢٧٣ حاشية ١). وقد نصت بعض المعاهدات التجارية المبرمة بين سلاطين المماليك مع الدول الأجنبية وخاصة المدن الإيطالية كالبندقية وفلورنسا وجنوة على تسليم البضائع إلى القبان لتباع في المزاد العلني. كما ورد في أحد بنود المعاهدة التجارية التي أبرمها السُّلْطان المؤيد شيخ مع سفيري البندقية في ١٢ رجب ٨١٨هـ/ ١٧ سبتمبر ١٤١٥م، أن من شكاوى البنادقة وجود وزان احتكر وزن

كل السلع، ولا يدع غيره يقوم بالوزن لأي تاجر بندقي، وأنه يزن السلع أقل مما هي، مما يؤدي إلى خسارة التجار البنادقة. فأصدر السُّلْطان أوامره بانتخاب واختيار وزانين آخرين، ويكونوا أصحاب كفاءة وأمانة على سلع المسلمين والبنادقة، وأن يمنع هذا الوزان من الوزن وتتم معاقبته. (محمد محمد أمين: «معاهدة تجارية بين مصر والبندقية من عصر السُّلْطان المؤيد شيخ دراسة في العلاقات الاقتصادية بين مصر والبندقية في أوائل القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي»، في كتاب: مصر وعالم البحر المتوسط، الطبعة الأولى، دار الفكر للدراسات والشنر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٦م، ص٣٢٠)

(٥٢) أحمد محمود عبد الوهاب المصري: العمائر في وثائق الغوري الجديدة بوزارة الأوقاف، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب– جامعة سوهاج، ١٩٨١م، ص١٧.

(٥٣) ابن الأخوة(محمد بن محمد بن أحمد القرشي، ت ٧٢٩هـ/ ١٣٢٩م): معالم القربة في أحكام الحسبة، تحقيق محمد محمود شعبان وصديق أحمد عيسى المطيعى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٦م، ص١٤٥.

(٥٤) العالي: من الألقاب الفروع في العصر المملوكي، وكانت رتبته أعلى من«السامي»، وفي بعض الأحيان يسبق بلقب تابع آخر مثل الأشرف والشريف والكريم. وكان «العالي» من الألقاب التي تجري مجرى التشريف، فكان يوصف به أشياء على سبيل التشريف، حيث كان «الشريف» لقبًا على متعلقات السُّلْطان. وكان في عصر سلاطين المماليك البحرية إذا افتتحت التواقيع والمراسيم بـ «رُسم بالأمر» لا يوصف بـ«الشريف» بل بـ«العالي»، فيقال:« رُسم بالأمر العالي، المولوي، السُّلْطانيّ، المَلَكي، الفُلاني الفلانيّ»، في حين استقر الحال في عصر سلاطين المماليك الجراكسة على وصف الأمر بـ«الشريف» فيقال: «رُسم بالأمر الشريف العالي» إلى آخره لكل من السُّلْطان ونوابه، وهو ما ورد في المرسوم.(القَلْقَشَنْدي: صُبْح الأعْشَى، ج١٢، ص٢٨٣؛ حسن الباشا: الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٩م، ص٣٩٠–٣٩١).

(٥٥) المَوْلوي: المَوْلى يطلق في اللغة على السيد، وعلى المملوك، والعتيق، وقد استعمل كلقب بمعنى السيادة أحيانًا، وبمعنى الانتماء أحيانًا أخرى. واستعمل اللقب مضافًا إلى ياء النسب نسبة للمبالغة، فكان يقال المولوي، وفي عصر سلاطين المماليك صار لقب المولوي – فضلا عن استعماله للسلاطين– يرد ضمن ألقاب كبار رجال الدولة من الأمراء والمدنيين. وقد استقر كتاب العصر المملوكي على وضع هذا اللقب في سلسلة الألقاب قبل اللقب الدال على الوضع دلالة خاصة، فيقال مثلاً: «المقر الشريف المولوي الأميري».(القَلْقَشَنْدي: صُبْح الأعْشَى، ج٦، ص٣١، ١١٦؛ حسن الباشا: الألقاب الإسلامية، ص٥١٦، ٥١٨–٥١٩).

(٥٦) السُّلْطانيّ: نسبة إلى السُّلْطان، وأضيفت ياء النسب للمبالغة، وهو من ألقاب الملوك فيثبت في ألقاب المقام الشريف ونحوه، فيُقال المقام الشريف العالي السُّلْطانيّ ونحو ذلك.(القَلْقَشَنْدي: صُبْح الأعْشَى، ج٦، ص١٥).

(٥٧) كانت مثل هذه العبارات الدعائية التي وردت بين الأسطر التي تبدأ بصيغة «الحمد»، أو تلك الخارجة عن نص المرسوم الواردة على الهامش الأيمن والأيسر بمثابة التأشيرات الديوانية التي كتبها كبار رجال الديوان مع ذكر اسم الديوان، وهي تفيد إما النسخ أو التنزيل أو الإثبات في الدواوين المختصة. (زينب محمد محفوظ هنا: التطور الدبلوماتي لمراسيم ديوان الإنشاء بدير سانت كاترين من القرن الخامس إلى القرن العاشر الهجري، رسالة ماجستير–كلية الآداب–جامعة القاهرة، ١٩٦٩–١٩٧٠م، ص١١٧–١١٨، ١٢٤–١٢٨).

(٥٨) المَلَكي: بفتح اللام من ألقاب المَلِك وألقاب أتباعه المنسوبين إليه من الأمراء والوزراء ومن في معناهم، وقد استعمل اللقب أحيانًا في عصر سلاطين المماليك مضافًا إليه ياء النسبة «الملكي»، مثله مثل غيره من الألقاب، فكان يرد أحيانًا ضمن ألقاب الملك أو السُّلْطان نفسه في التقاليد والمناشير وغيرها، وذلك حين ينسب الأمر إلى السُّلْطان المذكور، وفي هذه الحالة كان اللقب يلحق بالنعت الخاص مضافًا إلى ياء النسب. (القَلْقَشَنْدي: صُبْح الأعْشَى، ج٦، ص١٢٠، ٣٠–١٢١؛ حسن الباشا: الألقاب الإسلامية، ص٥٠١).

(٥٩) الأشرفي: نسبة إلى الأشرف، من ألقاب المَقَام والمَقَرّ، وهو أفعل التفضيل من الشَّرَف بمعنى العُلُو، وهو من الألقاب رفيعة القدر في العصر المملوكي نظرًا لإقبال كثير من سلاطينهم على التلقب به.(القَلْقَشَنْدي: صُبْح الأعْشَى، ج٦، ص٨؛ حسن الباشا: الألقاب الإسلامية، ص١٦٠–١٦١). والأشرفي من ألقاب السُّلْطان الأشرف إينال.(عبد الباسط بن خليل(زين الدِّين عبد الباسط بن خليل بن شاهين الظَّاهري، ت٩٢٠ هـ/١٥١٤م) : نيل الأمل في ذيل الدول، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٢م، ج ٥، ص٣٨٩).

(٦٠) السيفي: السيف لفظ دخل في تكوين كثير من الألقاب المركبة التي تحمل معانى القوة مثل «سيف الإسلام» و«سيف الدولة»، وأطلق هذا اللقب على العسكريين في العصر المملوكي. وكان يأتي في آخر الألقاب المركبة أي قبل الاسم مباشرة.(حسن الباشا: الألقاب الإسلامية، ص١٠٨، ٣٤١–٣٤٢). وورود كلمة السيفي في آخر ألقاب السُّلْطان أو آخر الاسم تدل على أن صاحب ذلك الاسم قد مات عنه سيده وأستاذه ونقل إلى ديوان السُّلْطاني.(المقريزي: السُّلُوك، ج١ق٣، ص٧٣٦ حاشية٦).

(٦١) الديوان المعمور: ليس اسمًا لديوان، وإنما المقصود بأنها لا تزال معمورة بالكُتَّاب، أو بدوام عِزّ صاحبها وبقاء دولته فيقال «الدِّيوان المعمور» و«الدَّواوين المعمورة».(القَلْقَشَنْدي: صُبْح الأعْشَى، ج٦، ص١٨٥؛ زينب محمد محفوظ: التطور الدبلوماتي، ص١٢٥ حاشية ١).

(٦٢) هذه هي الفقرة الإثباتية التي تشير إلى علامة السُّلْطان، التي وجودها يعني صحة وسلامة المرسوم من الناحية القانونية.(زينب محمد محفوظ: التطور الدبلوماتي، ص٢٠٥).

(٦٣) اصطلح الكُتَّاب تأريخ المكاتبات وغيرها مما يصدُر عن الملوك والنواب وغيرهم، وقد وضع التاريخ بعد كتابة «إن شاء الله تعالى» في سطرين، فيكتبون:(«كُتِب في كذا من شهر كذا» في سطر، ثم يكتبون« سنة كذا» في سطر تحته).(القَلْقَشَنْدي: صُبْح الأعْشَى، ج٦، ص٢٣٥، ٢٦٢، ج٨، ص٢٢).

(٦٤) اصطلح الكُتَّاب على اختتام الكُتُب بالحمد تبَرُّكًا، فكانوا يكتبون في حَمْدَلة آخر الكتاب «الحمد لله وحده» وربما كَتَبُوا «الحمد لله ربِّ العالمين». كما اصطلحوا على كتابة التصلية في آخر الكتاب بعد الحمد لله وحده ما صورته «وصَلواتهُ على سيدنا محمد وآلِهِ وصَحْبه وسلامهُ».(القَلْقَشَنْدي: صُبْح الأعْشَى، ج٦، ص٢٦٦).

(٦٥) كانت الحسبلة توضع بعد سطر الحمدلة والتصلية في سطرًا واحدًا، حيث اصطلح الكُتَّاب كتابة« حَسْبُنا الله ونعم الوكيل».(القَلْقَشَنْدي: صُبْح الأعْشَى،ج٦، ص٢٦٩-٢٧٠).

(٦٦) كان يوجد في كثير من المراسيم المملوكية بعد كتابة الحسبلة صورة لحرف «الحاء»، وقد أشار القَلْقَشَنْدي إلى ذلك باعتبار أن الكتّاب قد اصطلحوا على أن يكتبوا تحت الحسبلة صورة حاء لطيفة منكبة على هذه الصورة «حر» ولا معنى لها، إذا هي في الأصل إشارة إلى الحسبلة نفسها، وكأن بعض الكتّاب كان يكتفي بها عن الحسبلة، ثم التبس ذلك على بعض الكتّاب فأثبتها مع الحسبلة على ظنّ أن فيها قدرا زائدا عليها؛ ويحتمل أنها إنما وضعت في الأصل لسدّ البياض كما يكتب بعض الدّوائر لسدّ البياض أو الفصل بين الكلامين وغير ذلك.(صُبْح الأعْشَى، ج٦، ص٢٧٠).

(٦٧) اتخذت علامة السُّلْطان في العصر المملوكي ثلاثة أشكال أساسية الأولى: أن يوقع السُّلْطان باسمه الشخصي على الوثائق الصادرة عنه، وقد يتخذ الاسم الشخصي منفردًا وهي العلامة التي وردت في المرسوم وفي كثير من مراسيم العصر المملوكي، أو يضاف إلى اسم السُّلْطان «ولدكم»، وهذه الصيغة كانت قاصرة على الأمراء الذين يضعهم السُّلْطان في مرتبة الوالد، أما غيرهم من الأمراء فكانت الصيغة المستعملة لهم تارة أخوكم وتارة والدكم، وقد وردت صيغة «والده» في بعض المراسيم. والثانية: أن تكون العلامة بمصطلح خاص، وهي تختص بمناشير الاقطاع للأمراء والجند ومنها: «الله أملى» أو «الله حسبي» أو «الملك لله» وغير ذلك. أما الثالثة: ما يخرج به الأمر من الاقطاعات والولايات وغيرها، ورسمها يكتب في ظاهر القصة أو المربعة ونحو ذلك. (للمزيد انظر: ابن ناظر الجيش: تثقيف التعريف، ص١٥٥-١٥٦؛ القَلْقَشَنْدي: صُبْح الأعْشَى، ج٦، ص٣١٤، ج١٣، ص١٦١-١٦٦؛ السَّخْمَاوي(شمس الدِّين محمد بن بدر الدِّين محمد، ت ٨٦٨هـ/١٤٦٤م): الثغر الباسم في صناعة الكاتب والكاتم، دراسة وتحقيق، أشرف محمد أنس، مراجعة حسين نصَّار، مركز تحقيق التراث، دَار الكُتب وَالوَثَائِق القَوميَّة، القَاهرة،

١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ج٢، ص٨٤١؛ زينب محمد محفوظ: التطور البلوماتي، ص٢٦٠–٢٦٣). وكانت المراسيم المربعة تتوج بعلامة السُّلْطان وهي توقيعه بخط يده بقلم جليل. وكان السُّلْطان يوقع علامته بأعلى ظاهر المرسوم عادة، كما كانت تكمل المراسيم بخطوط المباشرين بالدواوين المعمورة.(عماد أبو غـــازي: دراسة دبلوماتية، مج١، ص٢٥٣).